الأردني، في هذه المنطقة، على استقلالية العامل الفلسطيني فيها؟ وهل حدث هذا بفعل الضغط على اسرائيل من جانب بريطانيا؟ثم ما هي المصلحة الاسرائيلية من وراء ذلك؟

يبدو أن السكوت الاسرائيلي على عملية ضم الضفة الغربية الى الأردن قد جاء نتيجة المصلحة والضغوط في آن واحد. فإسرائيل كانت تتطلع، في ذلك الوقت، الى الحصول على اعتراف بريطاني بها؛ والملفت للنظر أن هذا الاعتراف قد تمّ فعلاً بعد مؤتمر أريحا وإعلان الاردن رسمياً ضم الضفة الغربية في نيسان (ابريل) ١٩٥٠، ففي السابع والعشرين من الشهر نفسه أعلنت بريطانيا اعترافها رسمياً باسرائيل، وكذلك بضم الجزء العربي من فلسطين الى الأردن، بشكل يبدو وكأن الاعتراف جاء ثمناً للسكوت الاسرائيلي عن هذه القضية. وقد لمحت الى هذا الأمر عدة أوساط حزبية في اسرائيل؛ وذلك أثناء النقاش الذي بادرت المعارضة إلى اجرائه في الكنيست حول هذا الموضوع(٧). فعلى سبيل المثال، ذكر زعيم حركة حيروت مناحيم بيغن، منتقداً سكوت اسرائيل على هذه القضية بقوله: «ليس هنالك شعب يحيا وفق ارادة الآخرين، وليس الامر هاماً بالنسبة لنا اذا كان البريطانيون يعترفون بنا أم لا»(٨). وتطرق النائب يوسف سابير (الصهيونيون العموميون) الى عامل الضغط البريطاني في هذه القضية بقوله: «ان علاقتنا مع شرقي الأردن تتأثر بالطبع بعلاقتنا مع بريطانيا، رغم نظرتها المعادية للصهيونية خلال السنين الأخيرة من حكمها في البلد، منذ صدور الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩، وتنفيذه الدقيق من جانب حكومة العمال»(٩).

وعلى أي حال، فقد كانت اسرائيل تواجه، في تلك الفترة، أربعة خيارات ممكنة بالنسبة لموقفها من مصير الضفة الغربية. الخيار الأول: المحافظة على الوضع الراهن في هذه المنطقة والقائم بموجب اتفاقية الهدنة المبرمة بينها وبين الأردن، والثاني: احتمال قيام دولة عربية مستقلة فيها؛ والثالث: المبادرة بشن حرب جديدة لاحتلالها؛ والرابع والأخير: الموافقة، ولو قسراً، على ضمها الى الأردن.

ويلاحظ ان اسرائيل فضلت الخيار الأول، أي المحافظة على الوضع الراهن في الضفة الغربية والقائم بموجب اتفاقية الهدنة، إلا أن هذا الأمر لم يكن رهن إرادتها فقط؛ إذ ان الاتجاه نحو ضم المنطقة كان قويا جداً في السياسة الاردنية، بتأييد ودعم بريطانيا التي كانت تتطلع بعد انسحابها من فلسطين إلى توسيع منطقة نفوذها. كذلك يلاحظ أن الخوف الاسرائيلي من نجاح مساعي المفتي الحاج أمين الحسيني، بتأييد من مصر وجامعة الدول العربية، في اقامة دولة عربية مستقلة في هذه المنطقة تحفظ للفلسطينيين حقوقهم السياسية، قد لعب دوراً هاماً في تخلي اسرائيل عن الخيار الأول، أي في تخليها عن العمل على ابقاء الوضع الراهن كما هو عليه في الضفة الغربية. فإسرائيل كانت تعارض بشدة قيام دولة كهذه، خوفاً من العودة الى طرح مشروع التقسيم من جديد، الأمر الذي من شأنه أن يهدد مكاسبها الاقليمية والديموغرافية، التي استطاعت تحقيقها خلال حرب ١٩٤٨. أضف الى ذلك ان للفلسطينيين، في الضفة الغربية، حقوقاً وطنية وملكية ثابتة في المناطق التي احتلتها اسرائيل خلال الحرب، ومن شأن قيام دولة مستقلة لهم أن يقوي مركزهم سياسياً وعسكرياً ويدفعهم مجدداً للمطالبة